

ملف: ندوة "مستقبل المشروع الوطني الفلسطيني"

الدوحة - 14-15 تشرين الثاني/ نوفمبر

النضال الشعبي الفلسطيني بين مأزقين: "ما بعد الحداثة" والعامل الذاتي

أحمد جميل عزم

ملف ندوة " ندوة مستقبل المشروع الوطني الفلسطيني " (14 و 15 تشرين الثاني/ نوفمبر 2015)

النضال الشعبي الفلسطيني بين مأزقين: "ما بعد الحداثة" والعامل الذاتي

أحمد جميل عزم

سلسلة: ملفات

جميع الحقوق محفوظة للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات © 2016

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات مؤسسة بحثية عربية للعلوم الاجتماعية والعلوم الاجتماعية التطبيقية والتاريخ الإقليمي والقضايا الجيوستراتيجية. وإضافة إلى كونه مركز أبحاث فهو يولي اهتماماً لدراسة السياسات ونقدها وتقديم البدائل، سواء كانت سياسات عربية أو سياسات دولية تجاه المنطقة العربية، وسواء كانت سياسات حكومية، أو سياسات مؤسسات وأحزاب وهيئات.

يعالج المركز قضايا المجتمعات والدول العربية بأدوات العلوم الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية، وبمقاربات ومنهجيات تكاملية عابرة للتخصصات. وينطلق من افتراض وجود أمن قومي وإنساني عربي، ومن وجود سمات ومصالح مشتركة، وإمكانية تطوير اقتصاد عربي، ويعمل على صوغ هذه الخطط وتحقيقتها، كما يطرحها كبرامج وخطط من خلال عمله البحثي ومجمل إنتاجه.

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

شارع رقم: 826 - منطقة 66

الدفنة

ص.ب: 10277

الدوحة، قطر

هاتف: +974 44199777 | فاكس: +974 44831651

org.dohainstitute.www

النضال الشعبي الفلسطيني بين مأزقين: "ما بعد الحدّثة" والعامل الذاتي

أحمد جميل عزم

ملخص

تمثّل المواجهات وسلسلةً عمليات المقاومة الفردية التي بدأت في تشرين الأول/ أكتوبر 2015، في فلسطين، اختباراً مهماً لأدوات العمل السياسي الفلسطيني وآلياته وأطره¹، وذلك في سياقين أساسيين: الأول، سياق عالمي، يتعلق بطبيعة المرحلة التاريخية، وتحديدًا عصر العولمة وما يعرف بعصر "ما بعد الحدّثة" الذي برزت فيه معطيات جديدة عالمياً؛ توجّه تحرك العمل الشعبي والسياسي، وأنماط جديدة للقيادة والتنظيم. والثاني، السياق الفلسطيني الذاتي، من حيث طبيعة القوى السياسية الفلسطينية وأدائها. وتحاول هذه الورقة مقارنة الحالة الانتقضية الراهنة في هذين السياقين.

ما بعد الحدّثة

شهد القرن العشرون، منذ ما بعد الحرب العالمية الثانية، وخصوصاً مع نهايات الحرب الباردة، موجةً فكريةً عُرفت باسم "ما بعد الحدّثة". كانت السمات الأهم في هذه الموجة؛ تقلُّص دور الأيديولوجيا والعمل الحزبي والفصائلي، وانتقاد التصورات التي تؤمن بوجود قواعد عليا للسلوك الإنساني؛ تفسيره وتسيّره.

¹ مازالت هذه التطورات والأحداث تحتاج إلى أن تؤنق بطريقة تحليلية عميقة؛ من حيث قياس مدى اتساع المشاركة الشعبية فيها، وطبيعة أحداثها وحقيقتها، وتوزعها الجغرافي.

لم تكن هذه الموجة، بطبيعة الحال، تكوينية (constitutive)، تريد أن تشكل العالم، والعقل الإنساني، على نحو معين، ولكنها كانت تدعي أنها تفسيرية تشخيصية (explanatory)، أي أنها تقول إنه لا يوجد قواعد تحكم العالم، ويجب الاعتراف بذلك، وإنه ليس صحيحاً أن العالم يتقدم إلى الأمام ويتغير. ولكن في واقع الأمر، وإلى حد بعيد، تصلح أفكار هذه الموجة التي بدأت بعد الحرب العالمية الثانية، لوصف أنماط من العمل السياسي والتنظيمي، اجتاحت العالم في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، وظهرت في الدول العربية، وخصوصاً في سياق ما عرف باسم الثورات العربية والربيع العربي، وفي السياق الفلسطيني في الوقت نفسه تقريباً.

لعل الفكرة المحورية في فكر ما بعد الحداثة، هي رفض مفكرين ومنظرين وجود قوانين جمعية يمكن أن تجمع العالم في اتجاه محدد، ويترتب على هذا رفض الأيديولوجيا، ورفض الأحزاب الأيديولوجية والرؤى المؤدلجة، وتحديد الأيديولوجيات التي تطرح رؤى توحيدية عالمياً وإقليمياً، مثل الماركسية. وهم، ضمناً على الأقل، لا يوافقون على رؤى توحيدية كالعروبة؛ إذ يرفض هذا التيار الروايات الكبرى (Grand Narratives)، ويؤدي إلى التركيز على البعد المحلي في العمل السياسي والاجتماعي غير المؤطر بأفكار جمعوية².

عندما يصل الأمر إلى المقاومة، بحسب ما بعد الحداثة، تبرز أفكار ميشيل فوكو؛ فهو يرى أنّ القوة مفهوم لا يتجسد في الدولة وحسب، بل هو موزع اجتماعياً، ولذلك يجب أن تكون المقاومة لامركزية (decentered)³.

جاءت العولمة وأدواتها لتعزز هذا النمط "التفكيكي"، وبكلمات أكثر دقة، لتجسده؛ فظهور ذلك الفكر كان أقرب إلى التحريض ضد الأيديولوجيا، وضد الرؤى الشمولية للإنسان والعالم ولفكرة وجود قوانين تحكم الحياة البشرية، ولكن ظهوره كان في زمن المدّ الأيديولوجي، عقب الحرب العالمية الثانية، أي في زمن الاستقطاب الأيديولوجي عالمياً، وزمن تبني حركات تحرر، وأحزاب، ودول متزايدة، رؤى فلسفية وأيديولوجية لعملها ونشاطها، ولكن مع دخولنا المرحلة المسماة بـ "العولمة"، وبفضل أدوات الاتصال والتكنولوجيا؛ بدا أن نبوءات ما بعد الحداثة تتحقق.

² انظر تعريف ما بعد الحداثة في:

Iaian McLean, *Concise Dictionary of Politics* (Oxford: Oxford University Press, 1996), pp. 394–395.

³ Ibid.

في الواقع، كانت منتجات العولمة أو أدواتها المتمثلة في تكنولوجيا الاتصال والتواصل المتطورة تُنشأ وتُصنَّع منذ السبعينيات، ثم انتشرت على نحوٍ واسعٍ في التسعينيات؛ لتفرض أنماطاً جديدةً في التنظيم السياسي والاجتماعي.

غيّرت هذه الشبكات كثيراً من توزيع القوة، وطريقة سيرها من النمط العمودي إلى الأفقي. فالنمط التقليدي للسلطة (القوة) هو أنها تأتي من قيادة في الأعلى، وتوجّه عناصر القوة، وتتعامل معها ومع أتباعها وجماعتها بنوع من المركزية، أي أنها تتشكّل هي مركز الفعل، وتعتمد، في العادة، على شرعية دينية، أو حتى تاريخية أسطورية، وقد تتمركز حول العرق والإثنية أو الأيديولوجيا. وحتى في المجتمعات التي فيها توزيع للقوة (الديمقراطية مثلاً)، هناك، عادةً، نوعٌ من اتجاهات القوة وعلاقتها، على نمطٍ لا يخلو من مركزية لقيادة أو قيادات مترتبة، ولكن التحولات التكنولوجية غيّرت هذا النمط⁴.

وبدءاً من التسعينيات، زادت التكنولوجيا القدرة على الحوار والنقاش والتغذية الراجعة؛ فالقيادة التي ترسل تعليماتها مع رسول على ظهر فرس، أو تصدرها حتى في صحيفة، لم تكن تصلها تغذية راجعة سريعة، كما أن توجهاتها وتعليماتها كانت رئيسة ومركزية في الحراك الجماهيري والاجتماعي⁵. أما الآن فيمكن التعليق، سريعاً، على أي قرار، والاشتراك في صنعه، ويمكن، كذلك، إنتاج أفكار، ومبادرات، وحركات مستقلة، بفضل الإعلام الاجتماعي الذي حل محلّ وسائل الاتصال الجماهيري التقليدية التي تتحكم فيها نخب سياسية واجتماعية.

وهكذا تكوّنت شبكات من البشر، يتواصل بعضها مع بعض؛ نتيجة عوامل مثل الاهتمامات المشتركة، وطبيعة العمل أو الدراسة (مثلاً، شبكات الطلاب، والإعلاميين، ورجال الأعمال ... إلخ)، تعيش هذه الشبكات عالماً فيه درجة عالية من التناقض أو التعارض بين مستويين، الأول عالمي (معوّلم)؛ إذ تتيح الوسائل الجديدة تخطي الحدود، وإقامة شبكات على أساس الاهتمام والمصالح والتوجهات، ولكنها تتيح، أيضاً، إمكان الإغراق في المحلية، والقيام بتكوين جماعات على أساس هويات فرعية، وإحيائها واستخدامها، وهو ما أوجد ظاهرة قد تسمى "العوملية".

⁴ Manuel Castells, *Communication Power* (Oxford: Oxford University Press, 2011), pp. 20–22.

⁵ Ibid.

لا يوجد في هذه الشبكات بنية تنظيمية حقيقية، أو هيكليات عمل، بل تعتمد على المبادرات والتفاعلات السريعة والآنية، ولكن الأکید أنّ وحدات العمل التقليدية الوسيطة بين المحلي والعالمي، وخصوصاً الدولة والحزب والفصيل والأيدولوجيا، لم تعد أساسية ومهمة، لا في دورها بوصفها وسيطاً، ولا بوصفها قائداً وموجهاً جامعاً للجماعات والشعوب.

السياق العربي والفلسطيني

قبل سنوات قليلة، ظهر أنّ فكر ما بعد الحداثة ينتصر في الدول العربية، ويتضافر مع فكرة "مجتمع الشبكات"، ويحقق، كذلك، انتصاراً متجسداً في الربيع العربي وثوراته؛ إذ تتحرك الجماهير وتنتصر من دون أيديولوجيا جامعة، سوى أفكار الحرية والكرامة، ومن دون قيادة، أو حزب، وبالاعتماد على ما أسماه عالم الاجتماع السياسي الأميركي، الإسباني الأصل، مانويل كاستيليس؛ "مجتمع الشبكات". وقد وجدت تجارب الثورات العربية صداها الفلسطيني، في محاولات لاستنساخ التجربة، والحراك من دون أيديولوجيا وقيادة مركزية، وإنتاج ما يسمى "الحركات الشبابية"، وساهم في هذا الاتجاه، التراجع الكبير، بالفعل، في عمل الفصائل الفلسطينية؛ بسبب تحولها إلى أطر بيروقراطية حاكمة، كما حدث في حالة حركة فتح، وبدرجة أقل قليلاً حركة حماس، أو لأنّ الفصائل فشلت في تجديد أطروحاتها الفكرية والبرامجية، وتفعيل بنائها التنظيمية، وهذا ما حصل، بنحو خاص، في حال اليسار الفلسطيني.

سرعان ما انضمت الحركات الفلسطينية إلى الحركات العربية، في إعلان تراجعها، وعجزها عن تقديم بديل من القوى المنظمة، مع استمرارها - أي القوى المنظمة (القيادة الرسمية والفصائل) - في مأزقها.

انفجرت "الهبّة" الشعبية في فلسطين، مطلع تشرين الأول/أكتوبر 2015، كأنها، للوهلة الأولى على الأقل، تجسيد لعصر ما بعد الحداثة؛ فلا فصائل، ولا أيديولوجيا، ولا قيادة مركزية، وأذاً، لا مطالب واضحة معبر عنها في برنامج، ولا ممثل يتحدث باسم الشباب الغاضب. وكانت، كذلك، تجسيداً لحالة العجز الفصائلي. بل فوق ذلك، يمكن القول إنّ الهبة، في جزء منها، انقضاة شرائح فلسطينية ضد مجتمع الشبكات الذي تشكل في السنوات الأخيرة فلسطينياً.

لكن بنية الهبة الحالية تضمنت أزمة في ذاتها، وهي أزمة تطرح صعوبة استمرار النضال الشعبي وفق الحالة الهلامية الراهنة التي لا وجود فيها لبني وأطر مرجعية جامعة ومساندة للعمل الشعبي.

لقد دخل المجتمع الفلسطيني عصر "ما بعد الحداثة"، ومظاهر ذلك تراجع الأيديولوجيا، وتراجع الفصيل، وتراجع دور القيادة ومكانتها فكرةً وممارسةً، وانتشار شبكات ما سمي بالمجتمع المدني التي تعيش تناقضات (المحلي-العالمي)؛ إذ تنغلق على نفسها، وتقرر من هم أعضاؤها، وتشكل جُزراً داخل المجتمع، وفي الوقت ذاته تتشارك وتتواصل مع أمثالها في العالم.

ولهذا التحول أسباب متعددة، يمكن تلخيص أهمها في:

- مشروع الدولة: فعلى الرغم من أن فكرة الدولة فكرة حدائية تعتمد مركزية السلطة والقيادة، فإن طرح هذا المشروع مع وجود الاحتلال الإسرائيلي، وتعثر تجسيد هذا المشروع في نهاية المفاوضات التي كانت متوقعة مع عام 1999؛ أوجد خللاً رئيساً في العمل الفلسطيني؛ ففي إطار حركات التحرر الوطني، وخصوصاً في مثل الحالة الفلسطينية التي فيها تشتت جغرافي كبير للفلسطينيين، تعتمد شرعية القيادة وقوتها كثيراً، على "الطوعية"، أي على قرار ذاتي من الأفراد والجماعات، وليس على مقومات - غير موجودة - للدولة. وفي الأثناء، تحولت الفصائل إما إلى أحزاب حاكمة مثل "فتح" (1994-2006)، و"حماس" في غزة (2007- حتى الآن)، و"فتح" في الضفة الغربية (2007- حتى الآن). وبناءً عليه؛ إذا كانت الدولة وأدواتها وقوتها في العالم، عموماً، تضعف لصالح الشبكات الاجتماعية المحلية - المعولمة أو "العوملية"، فإن مشروع الدولة الفلسطينية ساهم كثيراً في جرّ الفلسطينيين إلى حالة ما بعد الحداثة؛ لأنّ هذا المشروع دمرّ الفصائل الفلسطينية، واستبدل بفكرها التحرري والأيديولوجي، وبنائها وأدواتها الثورية، وسردياتها التاريخية، فكرة الدولة، والسلطة المتزايدة في الضعف بفعل الاحتلال، وأدى إلى انفضاض المؤيدين الذين لم يعودوا يرون قيادةً ثوريةً جامعةً.
- الاهتمام العالمي: إذا كان مجتمع الشبكات يتجه، عادةً، إلى تجاوز حدود الدولة، ومدّ الخيوط والاندماج، ودمج عناصر عابرة للحدود (من مثل الطوائف والتنظيمات التي تجد في الإنترنت وسيلة للاندماج عبر الحدود)، والانعزال عن المحيط المحلي والدولة، فقد ساهم اهتمام العالم بفلسطين

وبتسوية قضيتها، في تعميق حالة المحلية المتشظية المعولمة. وهذا ما عبّر عنه، على سبيل المثال، الباحث عبد الرحمن التميمي، في بحث بعنوان "المقاومة الشعبية بين الترييف والتدويل". يشير هذا العنوان إلى أنّ معظم المقاومة الشعبية الفلسطينية ولجانها تتحرك في مناطق الريف المحاذي لحدار الفصل العنصري، وتفيد من دعم متضامنين دوليين، كثيراً ما يزورون، ويشاركون في الاحتجاجات، ويوجهون الدعوات إلى الناشطين المحليين الفلسطينيين؛ لزيارة البلدان الغربية التي جاء منها أولئك المتضامنون؛ للتحدث هناك إلى الناس، مع القليل جداً من ارتباط شبكات المقاومة الشعبية محلياً بعضها ببعض، أو بباقي المجتمع، أو كما يقول التميمي إنّ "الشرعية المجتمعية يعترتها كثير من الغموض"⁶.

- أضف إلى عملية الترييف، واللجان الضيقة التي تتبنى المقاومة الشعبية غير المتناسكة بإستراتيجية عمل واضحة (وهذه كلها من مظاهر مجتمع الشبكات وإفرازات ما بعد الحادثة)، ظاهرة أخرى في السياق الفلسطيني، بعد اتفاقيات أوسلو، منتصف التسعينيات؛ هي الجمعيات غير الحكومية NGOs التي استُبدلت بالجمعيات الأهلية التي كانت تعمل في فلسطين سابقاً، والتي كانت، في الماضي، ترتبط بمنظمة التحرير الفلسطينية، وفصائلها، وبنى محلية اجتماعية وسياسية. كان استقلال هذه الجمعيات، سياسياً وتنظيمياً وفكرياً، عن الفصائل والتنظيمات، وحتى ابتعادها، نسبياً، عن السياسة والتسييس المباشرين على الأقل، مدخلاً رئيساً للحصول على دعم المانحين الغربيين، وأصبحت هذه الجمعيات جزءاً من المشهد الفلسطيني، وكانت سبباً إضافياً في ضعف مركزية العمل الفلسطيني، وإضعاف الفصائل والأيدولوجيا.

- الشتات الفلسطيني: ساعد عدم وجود الفلسطينيين في محيط جغرافي واحد في حالة التشظي والتشتت السياسيين والاجتماعيين، وتكوين شبكات مختلفة، وتنظيمات اجتماعية وسياسية، محلية، مع علاقاتها وارتباطاتها العابرة للحدود (بالاجئين أنفسهم، أو بقوى دولية مختلفة).

⁶ عبد الرحمن التميمي، "المقاومة الشعبية بين الترييف والتدويل"، في: إستراتيجيات المقاومة: المؤتمر السنوي الثالث (رام الله: مسارات، 2014)، ص 159.

- إضافة إلى العاملين السالفين، الفلسطينيون الذاتيين إلى حد بعيد؛ لا يمكن تجاهل العوامل الإقليمية والدولية التي ساهمت في ظواهر ما بعد الحداثة الفلسطينية، ومن ذلك تراجع الأيديولوجيا عالمياً، وخصوصاً بعد انتهاء الحرب الباردة، وتكرس الدولة القطرية العربية، ذات الأولويات والأجندات المحلية، وذات الخطاب الوطني الخاص، مع هامشٍ أقل للخطاب القومي العربي.
- لقد حاول الشباب الفلسطيني أن يلجأ - في ظل حالة الانهيار الفصائلي، والانقسام السياسي، وتعثر مشروعات السلطة أو الدولة - إلى سُبُل لأنماطٍ ما بعد حداثة في التنظيم والعمل (من دون أن يعي، على الأرجح، البعدَ الفلسفيّ لذلك)، أهمُّها لجانُ المقاومة الشعبية، وما سُمي بالحركات الشبابية التي تتخذ شكل جمعيات، ونشاط شبابي تقوم به مجموعات في جامعات أو مدن مختلفة، فضلاً عن دور الجمعيات غير الحكومية.
- جاءت الهبة الفلسطينية الحالية، في ظل ما قد يبدو تسليمًا بأنَّ المقاومة الشعبية (وتحديدًا نشاط مناهضة الجدار والاستيطان) بلغت سقفاً، فلم يحتضنها المجتمع، أو الفصائل، كما يوضح بحث التميمي سالف الذكر.
- جاءت الهبة بعد أن صار هناك ما قد يبدو رأياً عاماً فلسطينياً متوجساً من فكرة الجمعيات الفلسطينية غير الحكومية، وما يتعلق بها من أدوارٍ وارتباطات وبرامج وأجندات، وصارت موضوعاً للهجوم والانتقاد الدائمين، وعلى سبيل المثال، كتب خليل نخلة الذي عمل طويلاً في جمعيات غير حكومية فلسطينية، كتاباً لقي رواجاً بعنوان **فلسطين: وطن للبيع**، نشرته مؤسسة أجنبية يسارية عاملة في فلسطين، هي روزا لوكسمبورغ الألمانية، كتبه بعد تجربته الذاتية الطويلة في مؤسسات دولية مانحة، وجمعيات فلسطينية غير حكومية، وقال إنَّ كتابه يتناول "بشكل أساسي، دور التحالف الثلاثي غير الرسمي المشكل من: 1. النخبة السياسية الرأسمالية الفلسطينية، 2. المنظمات الفلسطينية التتموية غير الحكومية، 3. وكالات المساعدات العابرة للحدود الوطنية، في إعاقة ما أسميه 'التتمية التحررية المرتكزة على الناس'، وعرقلتها بل وتقويض دعائمها"⁷. والأمر ذاته عبّر عنه بانجمين بارت، الصحافي في صحيفة **لوموند**، في كتابه **حلم رام الله**:

⁷ خليل نخلة، **فلسطين وطن للبيع**، ترجمة عباب مراد (رام الله: مؤسسة روزا لوكسمبورغ، 2011)، ص 20.

رحلة في قلب السراب الفلسطيني، بحديثه عن "خبة معولمة"، تتكون من مديري منظمات غير حكومية، مشرفين على مشروع تنمية، مستشارين سياسيين في منظمة دولية، أو أساتذة في جامعة بيرزيت، يتقاضون معاش مستشار في القطاع الخاص⁸. مثل هذه الأفكار والانطباعات تعكس، في الواقع، نظرة الشارع الفلسطيني إلى حدّ بعيد.

- إن الحركات الشبابية التي ظهرت مع الربيع العربي، وثورات مصر وتونس، وتحتّ على إنهاء الانقسام، وتدعو إلى تظاهرات وخيام احتجاج ضد الانقسام السياسي، وتتضامن مع الأسرى، إلى غير ذلك من القضايا، هي، كذلك، بلغت سقفاً. ويتبنى الباحث جميل هلال، على سبيل المثال، رؤية نقدية لفكرة التعامل مع الشباب كمكوّن منفصل اجتماعياً، ويقول: "إن هناك خلفيات غير بريئة وراء خطاب 'الشباب'، أي خلف إبراز الشباب كفئة متميزة عن باقي الفئات في المجتمع"⁹. والواقع أنّ هلال يشير، بطريقة ما، إلى فكرة التعامل مع الشباب كشبكة منفصلة من شبكات ما بعد الحداثة، ويشير إلى أثر عامل العولمة ووسائل الاتصال الاجتماعي في ظهور الحركات الشبابية المتعددة، وتميزهم بهذا من القوى السياسية المنظمة (القديمة)، ويقول نافداً: "صحيح أنّ العالم يتغير، والبيئة التي ينشأ فيها الجيل الجديد تختلف عن بيئة آبائهم في بعض سمات ومكونات المجتمع المحلي والدولي، لكن ذلك لا يعني قيام قطيعة بين الأجيال، وغياب التواصل الثقافي والفكري والاجتماعي والاقتصادي"¹⁰. وقد جاءت تعليقات هلال في تقديمه لكتاب من تأليف جماعي لعدد من الناشطين الشباب، الذين وثّقوا تجربة العمل الشبابي، مثلما وثّقوا "تشوب خلافات بين المجموعات الشبابية"، ووثّقوا الاتهامات المتبادلة، والصراع مع الفصائل، ويشيرون إلى "إخفاق الربيع الفلسطيني"، ويخلص الكتاب إلى القول: "اختفت المجموعات الشبابية جميعها بعد فترة من الزمن لم تتجاوز السنة"¹¹.

⁸ بانجمين بارت، حلم رام الله: رحلة في قلب السراب الفلسطيني، ترجمة سنا خوري (دم: جروس بروس ناشرون، 2013)، ص 143.

⁹ الحركات الشبابية الفلسطينية: رؤية نقدية استشرافية، إشراف وتقديم جميل هلال (رام الله: مسارات، 2013)، ص 11.

¹⁰ المرجع نفسه، ص 16.

¹¹ المرجع نفسه، 24-25.

- أمام هذه الأوضاع جميعها جاءت الهبة الفلسطينية الأخيرة، لشبان يقومون بعمليات فردية، تقوم على الطعن، وجماهير تتضامن مع الشهداء، لكنّ البنية الاجتماعية والسياسية داخل قصبات المدن، وتحديداً في المناطق الواقعة تحت سيطرة السلطة الفلسطينية، تعيش، إلى حدّ بعيد، حياة عادية، وتبدو القوى السياسية والفصائلية والقيادة الرسمية مرتبكة، إلى حدّ بعيد، في تعاطيها مع الموقف.
- في هذه الهبة عدد من المؤشرات والدلالات؛ أولها، أن بنى ما بعد اتفاقيات أوسلو، وخصوصاً مؤسسات السلطة والفصائل المتحولة في شكلها وبنائها، لم تعد تسيطر على حركة الشارع (من دون أن يعني هذا أنها لن تحاول لجم الحركات الراهنة أو احتواءها)، ثانيها، أنّ أشكال العمل القائم على الشبكات الاجتماعية، خصوصاً الشبابية، والمجتمع المدني المعولم أيضاً، تفقد مكانها.
- في الوقت ذاته، إنّ الحركات الحالية حركات من دون أيديولوجيا، ومن دون قيادة مركزية، أو برامج جامعة، ولكن هذا الأمر ليس غائباً عن أذهان المراقبين، ويتضح لمراقب الكتابات الصحافية وحوارات الإعلام، مدى التساؤل عن الحاجة إلى بنى شعبية جامعة، ومرجعيات تعزز حراك الشبان المنتفضين.
- لقد وصل حراك الشباب العربي في مصر، ودول أخرى، إلى طريق مسدودة؛ وهو ما فتح العيون على أهمية إعادة التفكير في فكرة الحراك غير المؤطر وغير المنظم، والذي يستغني عن القيادة والتنظيم. والآن يتضح، فلسطينياً، مأزق غياب هذه المرجعيات، ومن هنا فإن السؤال الذي يطرح نفسه: هل ستستمر هذه الحالة؟
- عالمياً، هناك انتقادات لفكر ما بعد الحداثة، ولانتقاده الحاجة إلى الأطر الفكرية والتنظيمية الجامعة والموجهة، وهناك اقتناع متزايد أيضاً بمحدودية دور الشبكات، والمدى الذي يمكن أن تبلغه في النشاط والإنجاز¹². ويقول مانويل كاستيليس إنّ الشبكات "بعد نقطة معينة من الحجم، والتعقيد، والحركة، تصبح أقل فاعلية من البنى العمودية للقيادة والسيطرة"¹³.

¹² هيثم إبراهيم، "أفق فلسفي جديد يتجاوز 'ما بعد الحداثة'"، مجلة آفاق المستقبل (أبو ظبي)، العدد 7 (أيلول/ سبتمبر - تشرين الأول/ أكتوبر 2010)، ص 116-117.

¹³ Castells, p. 22.

- هذا الواقع يفتح الباب لالتحاق فئات مثقفة وشابة، بالمنفضين في الشارع الفلسطيني؛ لتكوين بنى نضالية منظمة جامعة ووحدية، تدعم الحالة الميدانية، وتتجاوز حالات الترهل والفشل في مشروع الدولة الفلسطينية، وفي البنى الاجتماعية المغرقة في صغرها ومحليتها، والمعولمة في الوقت ذاته.
- ستكون المرحلة المقبلة مهمة للإجابة عن سؤال: هل ستتشكل هذه البنى الراضة لمنظومات ما بعد الحادثة سالفة الذكر، والتي ربما لا تتفق، بطبيعة الحال، مع الهياكل والأطر والأفكار التي حكمت مرحلة الحادثة، في القرنين التاسع عشر والعشرين؟



المراجع

1. العربية

إبراهيم، هيثم. "أفق فلسفي جديد يتجاوز "ما بعد الحداثة"". *مجلة آفاق المستقبل* (أبو ظبي). العدد 7 (أيلول/سبتمبر - تشرين الأول/أكتوبر 2010).

بارت، بانجمين. *حلم رام الله: رحلة في قلب السراب الفلسطيني*. ترجمة سنا خوري. د.م: جروس بروس ناشرون، 2013.

التميمي، عبد الرحمن. "المقاومة الشعبية بين التريف والتدويل"، في: *إستراتيجيات المقاومة: المؤتمر السنوي الثالث*. رام الله: مسارات، 2014.

الحركات الشبابية الفلسطينية، رؤية نقدية استشرافية. إشراف وتقديم جميل هلال. رام الله: مسارات، 2013.
نخلة، خليل. *فلسطين وطن للبيع*. ترجمة عباب مراد. رام الله: مؤسسة روزا لوكسمبورغ، 2011.

2. الأجنبية

Castells, Manuel. *Communication Power*. Oxford: Oxford University Press, 2011.

McLean, Ian. *Concise Dictionary of Politics*. Oxford: Oxford University Press, 1996.